ملامح من الفكر الجغرافي القديم في وادي الرافدين

د. ابتهال عادل إبراهيم الطائي[*]

المقدمة

من بين العلوم الانسانية التي نبغ بها سكان وادي الرافدين كان علم الجغرافية، فبامكان الباحث في النصوص المسمارية للحضارة الرافدية ان يستخرج مادة جغرافية عظيمة. ولكن تبقى هناك مسالة يجب ان تاخذ بها في عين الاعتبار وهي ان الكتبة العراقيون القدماء لم يضعوا في أي حقل من حقول المعرفة مؤلفا واحدا منظما ومرتبا ترتيبا علميا فهم لم يألفوا التجريد الذهني بل ركزوا أهتمامتهم على حشد المعلومات والوقائع المادية وتأليفها على غير نظام ولا قاعدة. وعلى هذا النمط وضعوا العديد من المؤلفات في مختلف فروع المعرفة:الجغرافية، التاريخ، الرياضيات، الشرائع، والاداب وغير ذلك فضلا عن هذا فقد كانوا يكررون في مؤلف واحد عشرات المرات الفكرة التي تهمهم. وكان هذا من سمات سائر المجتمعات الاولى التي ظهرت[*]. ورغم ذلك نلاحظ انهم كانوا حريصين على الوصف الجغرافي الملازم النصوص التاريخية ولذا قيل ان الجغرافية هي المسرح والتاريخ هو الممثل عليها.

---

[*] مدرس /قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل.

[*]لو القينا نظرة على المناهج المقررة لطلبة المدارس في وادي الرافدين نجد من بين العلوم التي كانت يتم تعليمها كانت العلوم الاجتماعية التي تشمل على الجغرافية والتاريخ والتقويم والقوانين والشرائع فضلا عن العلوم الدينية التي تشمل اساطير الخليقة وعلاقة الانسان بالالهة ومصير الانسان ما بعد الموت وذهاب الميت الى عالم الاموات والعلوم الادبية التي تشمل اللغة والتصريف والنحو والقصص الادبية والعلوم الرياضية التي تشمل الحساب والهندسة والفلك والعلوم العقلية التي تشمل علوم الكلام وما وراء الطبيعة والنظرة الى الكون والطب والكيمياء والعلوم الاخرى التي تشمل السحر والتنجيم وتفسير الاحلام والزراعة، ينظر الجادر، وليد بالاشتراك مع فاضل، عبدالله : "دور العلم والمعرفة في العراق القديم"، المورد،م١٦، بغداد–٩٨٧، ص٨٧ وايضا الصافي، عبد الخضر عباس باالأشتراك مع فياض، خالد فاضل: الامتحانات في العصر البابلي القديم، مراجعة عبد الهادي الفؤادي، بغداد–١٩٧٥،ص١٥–١٧.

جاءت هذه الدراسة كمحاولة اولى للتعرف على هذا العلم في وادي الرافدين، تناولت الدراسة محورين هم :

اولا. مدخل الى نشاة علم الجغرافية في وادي الرافدين[*]

من بين الامور التي شغلت تفكير الانسان في العصور المختلفة معرفة نظام الكون وصلة عالمنا بالكرة السماوية وشكل الارض وكيفية ثبوتها في الفراغ[†]. ان تحديد نقطة انطلاق لتطور الفكر الجغرافي وثيق الصلة بحياة الانسان فعندما بدا يدرك جميع الظواهر الطبيعية[‡] المحيطة به وما تقدمه الطبيعة من امكانيات تسعى الى تحقيق الملاءمة بين متطلبات حياته وطبيعة المكان الذي يقيم فيه والبدايات الاولى للفكر الجغرافي قديمة جدا عندما كان الانسان يعيش على الجمع والالتقاط والقنص والصيد وتمكن قبل ان يتوصل الى معرفة الكتابة من عمل بعض الرسوم البسيطة على قطع من الجلد او على الرمال ليبين فيها بعض الدورات والمسالك التي كان يتبعها في مواسم الصيد والقنص كما ان فطرته دفعته لتصوير بعض الظاهرات الموجودة في بيئته كالانهار والجبال والاشجار والبحيرات على جدران الكهوف والصخور[§] والاختام فالمشاهد المصورة عليها تعبر اصدق تعبير عن اهم الانشطة والمعطيات انذاك، فالفنان استطاع ان يحاكي خصوصيات بيئته ومدى تفاعل مجتمعه معها، فركز على معظم العوامل والظواهر الطبيعية المنؤثرة

---

[*] دولاربورت، ل، بلاد ما بين النهرين، ترجمة مارون الخوري، بيروت – ١٩٧١، ص٢٥٦.

[†] سوسة، احمد : العراق في الخوارط القديمة، بغداد – ١٩٥٩، ص ٥.

[‡] مما تجدر الاشارة اليه ان تاثير الظواهر الطبيعية والبيئية والجغرافية ومعتقدات سكان الحضارة الرافدينية بحيث خصصوا العديد من الالهة لتلك الظواهر فجعلوا الاله انو اله السماء على راس الالهة والاله انليل اله الجو والهواء وياتي في المرتبة الثالثة الاله انكي(ابا) اله الارض والحكمة والمياه الجوفية هذا ما اشتملت عليه المجموعة الاولى من الالهة اما المجموعة الثانية فشملت الشمس والقمر والزهرة والاله ادد اله البرق والرعد وللاستزادة في المعلومات ينظر : الاحمد سامي سعيد : "المظاهر الدينية في العراق القديم"، المجلة التاريخية، ع٤، ١٩٧٥، ص١٢٩–٢٤٠.

[§] الجوهري، يسرى:الفكر الجغرافي في الكشوف الجغرافية،الاسكندرية– ١٩٧٢، ص٣.

في مستوى حياته فالمشاهد المختلفة للاشكال الادمية والحيوانية والنباتية وغيرها لم تهدف الى التركيز على ذاتها كاشياء معينة وانما وردت كانموذجات الموضوعات عامة وشاملة دون العناية بالمدلولات الضيقة والخصوصيات أي وضع دلالات تؤدي دور الكلمات واختيار النبات يعطي انطباعا على نمو الزراعة وكذلك الحال بالنسبة للقصب واهميته في هذه البيئة والمياه والحيوانات جميعها تعكس لنا اهتمامات القوم بمجالات الانتاج الزراعي تمشيا مع التطور الحاصل في حياة الانسان(*). وبابتكار الانسان الكتابة اخذ الانسان يمثل هذه الظواهر عن طريق نقشها او رسمها على الواح الطين(†).

على اية حال نشا عند سكان وادي الرافدين ما نسميه بعلم البلدان والجغرافية(‡) وهناك من اطلق عليه علم الهيئةوالجغرافية(§). فاهل المعرفة في الحضارة الرافدينية كانوا مولعين بالتفكير بالكون ومركز بلادهم وموقعها بالنسبة للبلدان الاخرى(**) والمعلومات الجغرافية التي قدمها سكان وادي الرافدين تعد اكثر صدقا ودقة من غيرها من المعلومات التي ذكرت في النصوص المسمارية حيث انها لا تتحمل المبالغة او الخيال الا بقدر محدود جدا تعكس تصور العراقيين القدماء آنذاك حول مواقع المدن ومراكزها بالنسبة لبعضها وبالنسبة الى الانهار والبحار والجبال وتثبيت المسافات وبعض الحقائق الاخرى التي لم تكن تهدف باي حال من الاحوال تحقيق غايات اعلامية(††).

سوف نستعرض الدوافع التي دفعت سكان الحضارة الرافدينية الى الاهتمام بالجغرافية ويمكن اجمال تلك الدوافع باقتصادية وعسكرية وادارية فضلا عن

(*) محمد علي مهدي : "الاختام الاسطوانية صور اخبارية ابتكرها العراقيون قبل الكتابة، افاق عربية، ع١٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ٩٩.

(†) الجوهري : المصدر السابق، ص٣.

(‡) دولابورت : المصدر السابق، ص٢٥٥.

(§) باقر، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٥٥، ٣٢٥/١.

(**) باقر : م.س، ص ٣٢٥.

(††) سليمان، عامر:العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، موصل ١٩٩٣، ٢٩٣/٢.

العلمية. فبالنسبة للاولى أي الاقتصادية وخاصة ما يتعلق منها بالزراعة فبعد ان ارتبط الانسان بالارض وعرف الزراعة واستأنس الحيوان واستقر في القرى الى جانب الموارد المائية الثابتة كان عليه[*]، ان يتتبع الخصائص الطبيعية وتاثيراتها على الزراعة فعرف موسم فيضان الانهار ومواعيد فصول انحسار المياه عن الاراضي التي يغمرها الفيضان كما كان على السلطة المحلية ومسؤولية عمل خرائط او رسوم لمناطق الاستقرار لتكون اساسا لتقدير الضرائب كما كان عليه ان يعرف الاحوال الجوية وموسم كل محصول من المزروعات الصيفية والشتوية وكان عليه ان يتوصل الى طريقة لتقسيم الاراضي الزراعية، والعمل على بناءقنوات الري والسدود والخزانات كما كان عليه أن يراقب النجوم ويحسب مواعيد الحصاد والبذار[†].

ويدخل ضمن هذا الاطار التجارة، فقد اتسعت معلومات العراقيين القدماء من جغرافية الشرق القديم منذ اقدم الازمان بالتجارة والاسفار[‡] والحروب[§]. ويخبرنا عن هذا الباحث كريمر حيث يقول : "من الواضح ان السومريين قاموا عبر

---

[*] الجوهري : المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.

[†] الاحمد، سامي سعيد : "الزراعة والري"، في حضارة العراق، بغداد – ١٩٨٥، ١٥٥/٢ وينظر الجوهري : المصدر السابق، ص ٦٤.

[‡] بامكاننا ان نستشف من النصوص المسمارية المعلومات الكثيرة عن الوصف الجغرافي من خلال الرحلات والاسفار فهذاأنكيدو يبدي مخاوفه من تلك المخاطرة التي تنطوي عليه الرحلة لا سيما ان الغابة كان قد وكل الاله ابليل على حراستها العفريت المارر "خمبابا" او "خواوا" وقبل ان يشرع بالسفر مع انكيدو مع الالهة ننسون فصلى لها خاطبها "ماننسون، اندني لي ان اخبرك بانني اعتزمت سفرا بعيدا الى موطن خمبابا وانني مقدم على نزال لا اعرف عاقبته والسير في طريق لا اعرف مسالكها؟ وبعد وفاة انديو يشد جلجامش الرحال مرة اخرى وبعد سفر طويل وصل في طريقه جبالا اسمها "ماشو" يرجح ان تكون جبال لبنان، للاستزادة ينظر : باقر، طه : مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩، ص ١٠٩-١١٦.

[§] للاستزادة في المعلومات عن دور التجارة والاسفار والحروب، ينظر : الطائي، ابتهال عادل : اصالة الحضارة العراقية القديمة في مجال العلوم الانسانية واثرها في الحضارة الاخرى، رسالة ماجستير غير منشورة، موصل – ١٩٩٦، ص ١٢-٣٨.

العصور بجمع معلومات غير قليلة عن اقطار اجنبية وشعوب غريبة وكان التجار السومريون الذين يقطعون البر والبحر طولا وعرضا يجلبون معهم تقارير عن الاماكن التي يزورونها وعن الناس الذين كانوا يستوطنونها وكان الجنود يفعلون دون شك مثل هذا بعد عودتهم من الحملات العسكرية الناجحة[*]. ومعروف ان لبلاد وادي الرافدين علاقات تجارية قديمة تمتد جذورها الى عصور ما قبل التاريخ وغطت تلك العلاقات مناطق وبلدان قاصية ودانية فمن اواسط اسيا الصغرى شمالا الى الخليج العربي والجزيرة العربية جنوبا ومن موهنجود دار في وادي السند وبلاد فارس في الشرق الى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وبعض الجزر فيه ومصر وليبيا وغيرها من البلدان الافريقية في الغرب وكثيرا ما تناولت النصوص المسمارية طرق المواصلات البرية او المائية وامدتنا بتسميات للبحار والانهار والمدن والقرى الواقعة على تلك الطرق[†]. حيث توفرت لدينا بعض الالواح التي اطلق عليها اسم الاثبات او الجداول الجغرافية Geographical Lists يعود تاريخها الى العصر البابلي القديم(٢٠٠٦-١٥٩٥ق.م) وهي عبارة عن معاجم صغيرة باسماء المدن والمواضع الشهيرة التي كانت ترتب اما بحسب تسلسلها الجغرافي أوبحسب كتابة أسمائها ولعل أقدم ما وجد من هذه الأثبات اللوح الطيني الذي اكتشف في تل حرمل[‡]. ومن قبيل هذه المؤلفات الجغرافية قوائم تذكر الطرق والمسالك الشهيرة واسماء المدن والامكنة التي تمر منها ويطلق عليها اسم "دليل السفر" ودليل المسافر والسائح"[§] وتعطي هذه الالواح المساحة بين مدينة واخرى

---

[*] كريمر صموئيل نوح: السومريون(شيكاغو ١٩٦٤)، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت – ١٩٧٣، ص٤٠٩.

[†] الراوي، فاروق ناصر : "العلوم والمعارف في موسوعة حضارة العراق، بغداد – ١٩٨٥، ٢١٩/٢.

[‡] باقر : المصدر السابق، ص ٤٤٥.

[§] Edzard, D.O.,"The Ideas of Babylonia Geography" Sumer,Vol.41,1985.P. 114 : دولابورت : المصدر السابق، ص ٢٥٦ ؛ باقر : المصدر السابق، ص ٣٢٧.

والزمن اللازم للرحلة وتقدم هذه الالواح الالدة على تفدم التجارة وعلى تكرار الاسفار بين مختلف بلدان الدولة والاقاليم المجاورة لها[*]. وقد اعانت هذه القوائم الباحثين في تعيين مسارات الطرق التجارية ويؤخذ من النصوص ان الاتجاه العام للطرق المتجهة الى الشمال والغرب كان يتبع التسلسل الاتي في العصر البابلي القديم :

- من لارسا الى اشور
- من ابقم الى شبات انليل واشناكوم
- من(ضفاف) الفرات حتى حران والى شبات انليل
- من شبات انليل الى سياد ولارسا

وكان يتخلل كل طريق من الطرق الموصلة بين المدن المذكورة عدد من المحطات والمراكز التجارية فتذكر النصوص ثلاث مراكز تجارية من لارسا الى بابل ومنها كان يتم السير الى مجموعة من المراكز الاخرى في منطقة ديالى والتي تقع فيها منطقة اشنونا المهمة ثم كان يتبعها عدد من المراكز باتجاه الشمال الى مدينة اشور ومنها الى مدينة ابقم ومن ثم كان الطرق يسير شمالا باتجاه مدينة شبات انليل[†].

اما بالنسبة الى الدوافع العسكرية، فان ذلك يتجلى بوضوح في القوائم الخاصة باسماء الاقاليم والمدن كما نجد ذلك في الثبت الخاص بفتوح سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ق.م)[‡]. ونجد دليلا اخر على ذلك في اسلوب بناء السور الذي شيد لكي يصدأ الاموريين حيث ارخت السنة الرابعة ومن حكم "شو-سين"(أحد حكام سلالة أور الثالثة ٢٠١٣-٢٠٠٦ق.م) بانها السنة الشيد فيها

---

[*] كونتينو، جورج : الحياة اليومية في بلاد بابل واشور،(لندن، ١٩٥٤)، ترجمة : سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي، بغداد – ١٩٧٩.

(†) حمود، حسين ظاهر : التجارة في العصر البابلي القديم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل – ١٩٩٥، ص ٨٥.

.Geotze, A., "An Old Babylonian Itinerany" JCS, Vol.7, No. 2, P.55

.Edzard : Loc. Cit, p.114

[‡] الراوي : المصدر السابق، ص ٢٧٩.

"سور الامورين"[*]. كما ان الاشوريين تمكنوا من تكوين مملكة مترامية الاطراف بما توفر لديهم من معرفة بجغرافية المناطق التي امتدت اليها حدود مملكتهم[†]، والواقع انه كلما تغلب حاكم على اقليم من الاقاليم الواسعة فانه يكون بحاجة الى معرفة بجغرافية المنطقة لكي يتمكن من توجيه اعمال موظفيه وهذا يقودنا للحديث عن الدوافع الادارية الى جانب الدوافع العسكرية[‡]، حيث يدخل ضمن المؤلفات الجغرافية قوائم قديمة نظمت لاغراض ادارية ومن اجل تعداد المدن والسكان ولتسهيل جمع الضرائب[§] والادارة حيث تعطينا الجداول الجغرافية قائمة باسماء الاقاليم والمواضع المهمة لتسهيل الاسفار وتعريف المسافات فيما بينها نقطتين محددتين. واخرى بالمناطق الواجب اختيارها للذهاب من مكان الى اخر وثالثة باسماء المدن والهياكل الافقية التابعة للمنطقة. ويزودنا ارشيف ماري بعدد من الرسائل المتبادلة بين الملك شمشي–ادد الأول(١٨١٤–١٧٨٢ ق.م) وولديه اسمشي– داكان الذي عينه على ايكلاتم والمناطق التي تقع على نهر دجلة جنوب بلاد اشور ويسمخ –ادد الذي عينه حاكما على مدينة ماري. تتعلق تلك الرسائل بادارة البلاد ومشكلاتها التي تخص الشؤون العسكرية والاقتصادية والادارية ففي احدى الرسائل التي وجهها شمشي – ادد التي يسمخ – ادد طلبه منها ن يقوم بعملية احصاء المقاطعات التابعة له حيث ورد في الرسالة :

"لا تظهر أي تساهل في احصائك. وبعد انتهائك منت العمل في نهاية الشهر الحالي... احضر الى شوبت انليل لمقابلتي" وقد اعرب شمشي – ادد الاول

---

[*] باقر، المصدر السابق، ص ٣٨٩.

Gadd, C.S.,"Babylonc.2120-1800 BC", CAH Vol.1 part.1, London-1971, p. 610

[†] رشيد فوزي، "العلوم الانسانية والطبيعية في موسوعة الموصل الحضارية، موصل – ١٩٩١، ٣٧٨/١.

[‡] سارتون، جورج : تاريخ العلم(كمبرج ١٩٥١)، ترجمة نخبة من الباحثين، ط٣، القاهرة – ١٩٧٦، ١٨٥/١.

[§] باقر : المصدر السابق، ص ٣٢٧ معينة من المناطق البلاد دولابورت : ص ٢٥٦.

نفس الرسالة عن ارتياحه لقيام يسمخ–ادد باحصاء الاراضي الزراعية في ماري[*].

اما بالنسبة الى الدوافع العلمية، فمنشأ ذلك محاولة وصف الكون ومعرفة موقع بلادهم من البلدان الاخرى او موقعه بالنسبة الى الكون أي السماء والارض[†]. فقد اعتقد سكان وادي الرافدين بان الارض شبيهة بالسماء فهي كمنصف كرة مقلوبة تعلوها السماء التي تتكون من ثلاث طبقات او سبع طبقات ويحيط بالسماء البحر او المحيط السماوي[‡]. ودعوا القسم الاعلى من السماء بالمركز او "كبد السماء"[§] كذلك قسموا الارض الى ثلاث طبقات او سبع طبقات اهمها الطبقة العليا التي يسكن فيها البشر والطبقة الوسطى وهي منطقة المياه والطبقة السفلى تسكنها ارواح الموتى[**].

وقد جاء في ماثر اخرى تقسيم كل من السماء والارض الى سبع مناطق وقسموا الارض الى اربعة قطاعات او اركان او اربع جهات اصلية[††]. تقابل كل جهة قطرا عظيما من الاقطار او تسمى باسمه فالجنوب بلاد عيلام والشمال بلاد

---

[*] ينظر الزيباري، محمد صالح طيب صادق : النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة معه النظام الملكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل – ١٩٨٩، ص ١٢٤ وايضا رو، جورج : العراق القديم(لندن – ١٩٦٣)، ترجمة : حسين علوان، بغداد – ١٩٨٤، ص ٢٦٠–٢٦١.

[†] عصفور، محمد ابو المحاسن:معالم حضارات الشرق الادنى القديم،بيروت–١٩٧٩،ص٢٤٧.وفي امكاننا ان نستشف من وراء الغلاف الاسطوري لرواية الخليفة من احوال العراق القديم الجغرافية في بداية ظهور اولى الحضارات في السهل الرسوبي في المراحلالاولى،ينظر :باقر :م.س،ص٨٢.

[‡] باقر: المصدر السابق، ص ٣٢٥.

[§] عصفور:المصدر السابق، ص ٢٤٧.

[**] باقر : المصدر السابق، ص ٣٢٥.

[††] مما تجدر الاشارة ان النصب الاشورية والبابلية خلافا لنصب اوربا الغربية لا تتجه الى جهات البوصلة الاربع بل الى جهات فرعية أي الى الشمال الغربي بدل الشمال والجنوب الشرقي بدل الجنوب وهذا التوجه يرتبط باتجاه الرياح في وادي الرافدين ينظر : كونتينو : المصدر السابق، ص ٣٧٥.

اكد والشرق بلاد السوباريين والكوتيين" والاشوريين والغرب بلاد الاموريين أي جهات سوريا[*]، وكانوا يعتقدون انه توجد في حدود هذا المحيط حوافي الجبال التي تستقر عليها السماء ومثل ما يستقر الغطاء فوق القدر واعتقدوا بوجود منفذين في هذه الجبال احدهما الشروق الشمس والثاني لغروبها[†].

ثانيا. انواع الجغرافية التي عرفها سكان وادي الرافدين

من الممكن القول انه كان لدى سكان الرافدين معرفة واهتمام بالجغرافية بانواعها المختلفة حيث يمكن ان نستشف من النصوص المسمارية الى الجغرافية الاقتصادية والعسكرية والوصفية(طوبوغرافية)، وجغرافية الاجناس فضلا عن جغرافية الفلكية.

بالنسبة الى الجغرافية الاقتصادية فموقع العراق الاستراتيجي اثره الواضح في نشوء وتطور وازدهار التجارة عبر العصور التي مر بها. فهو يقع عند ملتقى الطرق التجارية الرئيسية التي تصل الخليج العربي واقطاره والبلدان الواقعة الى ما وراء وبين البحر المتوسط فضلا عن كونه من الاقاليم المفتوحة جغرافيا[‡]. ونستطيع ان نجد صدى ذلك من خلال قطعة سومرية اعطى لها عنوان "انكي وتنظيم العالم" ما يهمنا منها هو ان مهمة الاله انكي تتوقف على حكم العالم فانه في الاقل قد خططه ونظمه بشكل يخدم مصالح بلاد سومر مركز اهتمام سكان الارض والكون ويبتدئ بهذه الارض فيعين لها مصيرا بان تكون اعظم البلدان واغناها واكثرها تمدنا ونقلا للحضارة ثم نزل نحو الجنوب واتخذ مدينة اور كهمزة وصل مع البلدان الغربية التي يمكن الوصول اليها عن طريق البحر وجعل من هذه المدينة ميناء التجارة الكبير للجزء السفلي من بلاد الرافدين وبعد هذا يجتاز بقفزة كبيرة الى ابعد هذه البلدان نحو الشرق ويمنح "ملوخا" كما يظهر في الساحل من

---

[*] سارتون : المصدر السابق، ص ١٨٥.

[†] كونتينو : المصدر السابق، ص ٣٧٤.

[‡] للاستزادة في المعلومات نحيل القارئ الى شريف، ابراهيم:الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي،بغداد.ب. ت.

شبه الجزيرة الهندية، ان تزدهر بفضل الذهب والتصدير ثم يعود ادراجه حيث رتب مصير الجيران المباشرين لسومر في الجنوب الغربي ستكون دلمون مخصصة لتزويد التمور والحبوب وفي الشرق على الهضبة الايرانية ستكون عيلام ومرخاشي منتجتين معتمدتين للحجارة شبه النفسية وللفضة وفي الشمال الغربي وستكون شعوب(مارتو)، وهم جزريون شبه رحل من سوريا، من كبار الممونين بالمواشي هكذا كون انكي تركيبة البلاد على الصعيد الدولي مع ما يجاورها من البلدان لكي تستمد منها الخيرات الاستهلاكية التي تنتجها او لاتنتجها بصورة غير كافية[*].

اما بالنسبة الى الجغرافية العسكرية فان المعلومات الواردة في المدونات التاريخية سرعان ما كثرت خلال العصر البابلي القديم، حيث زودنا الكتبة العراقيون القدماء بالعديد من النصوص المعجمية Lexical Texts التي احتوت على قوائم باسماء البلدان والاقاليم[†]. وبعضها احتوى على شروح وتعليقات بالسومرية والاكدية[‡]. وربما استخدمت تلك القوائم كدليل للرحلات التجارية او للامور الادارية او العسكرية وارقى ما وصل اليه الكتبة في مجال تلك النصوص التي تخص فتوح البلدان منها ثبتت خاص بفتوح سرجون الاكدي[§]، فبعد تدوين اسماء، فبعد تدوين اسماء البلدان والمدن التي فتحها وحركته من مدينة الى اخرى يذكر ما نصه "مسيرة ١٢٠ ساعة مضاعفة بين منابع الفرات وبلاد ميلوخا ومكان.

---

[*] بوترو،جين:بلاد الرافدين والكتابة،العقل،(فرنسا، ١٩٧٨)،ترجمة البير انوتا، بغداد،١٩٩٠، ص٢٩٠.

[†] الراوي : المصدر نفسه، ص ٢٨١.

[‡] سارتون : المصدر نفسه، ص ١٨٥.

[§] مما تجدر الاشارة ان فتوحات سرجون الاكدي امتدت لمناطق ففي حملاته باتجاه الشمال الغربي تغني بجبال لبنان وجبال الامانوس ونعتها بجبال الارز والفضة اما ملحمة بطل المعركة ترينا توغل سرجون الاكدي الى اسيا الصغرى واجتاز البحر الغربي ووطأ ارض قبرص حيث يقول "والان على كل ملك ينبغي تسمية نفسه ندا لي ان يذهب حيثما ذهبت"، ينظر : و، جورج : العراق القديم،(لندن، ١٩٦٣)، ترجمة: حسين علوان، بغداد، ١٩٨٤، ص ٢١٢-٢٢١.

الحدود التي فتحها سرجون ملك العالم عند سيطرته على كل البلدان المغطاة بالسماء. الحدود التي حددها بالقياسات التي ثبتها" وبعد ذلك يدون الكتبة ثبتا بابعاد وحدود كل بلد وكمثال على ذلك"٩٠(ساعة مضاعفة) مساحة بلاد عيلام، ١٨٠ ساعة مضاعفة، مساحة بلاد اكد" ويعد هذا يخبرنا بالحدود العامة وتخصيص بعض البلاد المجاورة لها ومن ذلك ذكره البحر العلوي .A.AB.BA Elitti البحر المتوسط وبعض البلدان عبر ذلك والبحر الاسفل A.AB. Saphitt الخليج العربي مقرونا بدلمون(البحرين) او مكان(عمان) ثم يستمر فيخبرنا بالاقاليم من الشرق الى الغرب وياتي بنفس الاهمية نص متضمن مسيرة جيش من لارسا "سنكرة" الى بلاد اشور حيث دون الكاتب عدد الايام التي يستغرقها الجيش في مسيرته من مدينة الى اخرى فمثلا من بابل الى سيار(أبو حبة قرب اليوسفية)، مسيرة خمسة ايام ومن سيار الى دور ايل – سين(قرب ديالى) مسيرة عشرة ايام... ويستمر النص فيذكر الوصول الى بلاد اشور والمسافات فيما بين مدنها ومن ثم العودة بطريق اخر الى لارسا[*].

ونورد رسالة مؤلفة من كسر كتبها "خيبر" في لجنة المستشارين الفنيين الذين كلفوا بتنفيذ مهمة تشييد السور الذي يصد الاموريين والذي عرف باسم "موريك تيدنيم" الذي يبعد التندوم" احدى القبائل الاموية البدوية، تفاصيل مدهشة ومنها حقيقة القرار بان يمتد السور ٢٦ ساعة مزدوجة(زهاء ٢٧٠ كلم، وانطوى المشروع على خرق ضفاف نهري دجلة والفرات[†]. وهذا نبوخذنصر الاول(١١٢٤-١١٠٣ ق.م) يقدم لنا وصفا رائعا في اثناء غزوه لبلاد عيلام حيث يقول : "من دير مدينة الاله "انو" المقدسة، قفز مسافة ثلاثين "بيرو" ساعة مضاعفة وسار في الطريق في

---

[*] الراوي، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

[†] اوتس، جون، بابل تاريخ مصور،(لندن، ١٩٨٦)، ترجمة سيمر عبد الرحيم، .Gadd: Op cit, p.909-10، الجلبي، بغداد – ١٩٩٠، ص ٧٦-٧٧.

شهر تموز، لقد احترقت النصال وتوهجت كانهار النار. وتوهجت احجار الطريق كانها الافران الحامية. جفت الابار وترنح حتى الابطال..."[*].

اما بالنسبة الى الحوليات الاشورية فقد زودتنا بمعلومات قيمة عن جغرافية الشرق القديم وخطط بلدانه لانها تذكر بالتفصيل والترتيب المواضع والمراحل التي يمر فيها الملوك يوما بعد يوم في غزواتهم وحملاتهم الحربية فحملة توكلتي – ننورتا الثاني(٨٩٠–٨٨٤ ق.م) ضد الكشو ورد في التقرير المفصل عن هذه الحملة كثير من اسماء المدن والبلدان التي مرت بها[†]. وتعد هذه المعلومات على قدر كبير من الاهمية فيما يخص الجغرافية التاريخية لبعض اقسام العراق القديم وسورية والاناضول[‡] وحملات الملك ادد–نرادي الثاني(٩١١–٨٩١ ق.م) والملك اشور ناصر بال الثاني(٨٨٣–٨٥٩ ق.م) وقد وردت ايضا معلومات ثمنية في حوليات الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨–٨٢٤ ق.م) المدونة في المسلة السوداء التي تتحدث عن احداث واحد وثلاثون عاما من حكمه ولا سيما فتوحاته في انحاء الشرق القديم[§] وحملة سرجون الاشوري(٧٢١–٧٠٥ ق.م) التي جهزها باتجاه المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية التي اختتمت بمدينة مصاصير الواقعة الى الجنوب من بحيرة وان حيث ان التقرير الخاص بهذه الحالة قد احتوى بنحو خاص على وصف دقيق لطبوغرافية المناطق التي سلكها الجيش الاشوري والمعلومات الواردة في التقرير من الدقة بحيث تعجز كتب الجغرافية في الوقت الحاضر ان تقدم معلومات بهذا التفصيل وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ايمان الاشوريين بضرورة تقديم المعلومات الجغرافية على حقيقتها لان المبالغة والمغالطة لا تخدم الجيش في حملاته العسكرية وقد تكلفه الكثير من الاوراح والمعدات ان

---

[*] باقر طه : مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد – ١٩٧٦، ص ٦٥.

[†] Luckenbill, D.D., Ancient Reccords of Assria and Babylonia, Vol. I. Chicago – 1926 – 1927 , pp. 407-412.

[‡] للاستزادة من المعلومات ينظر فرحان، محمد صالح : العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – ١٩٧٦، ص ٧٤.

[§] باقر، المصدر السابق، ص ٣٢٣.

كانت المعلومات خاطئة عن طوبوغرافية المناطق المزمع الوصول اليها[*]. حيث كان المسرح الرئيسي لهذه الحملة منطقة اورارتو المنيعة والتي تمثلها اليوم ارمينيا حيث يصف سرجون الصعاب التي واجهها لضمان عبور لانهار التي كانت في حالة فيضان شديد وكيف ان الجيوش عبرت تلك الانهار كما عبرت الزابين الكبير والصغير دون ان يعتري الجنود أي خوف ثم دخل منطقة الجبال وكانت شعارات الالهة تحمل امامه، ويمضي فيقول : "بالرغم من ان تلك الجبال كانت عالية ومغطاة بنوع كثيف من الاشجار وبالرغم من وجود الوديان المرعبة بظلامها الذي يشبه ظلام غابة الارز حيث لم ير أي ضوء هناك، فقد تقدمت"[†].

اما من ناحية الجغرافية الوصفية[‡]، أي الطوبوغرافية فان سكان الحضارة الرافدينية عمدوا الى وصف الاماكن والمشاهد الطبيعية كالجبال والغابات والاهوار والبوادي والصحاري[§]، فهذا الملك اشور ناصر بال الثاني فكان يهوى مختلف انواع النباتات والحيوانات فعمد الى جلب انواعها المختلفة من المناطق التي سافر اليها وجلب تدورها كي تسنتنبت على تراب اشور[**] اما الملك تجلاتبليزر الثالث(٧٤٤ – ٧٢٧ ق.م) في احدى حملاته على ارض ميتاني يتحدث عن الحيوانات التي اصطادها بالقول : "اربعة ثيران برية كبيرة وقوية" و "عشرة افيال ذكور جبارة في ارض حران وفي حوض نهر الخابور"، كما صرع ثمانية اسود وهو

---

[*] رشيد، المصدر نفسه، ص ٦٧٨–٣٧٩.

[†] كونتينو : المصدر السابق، ص ٢٦٠، ينظر ايضا علي قاسم محمد : سرجون الاشوري ٧٢١–٧٠٥ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – ١٩٨٣، ص ٨٤–٨٥.
Saggs, H, "Assyrian War fare in The Sargonid period", Iraq, Vol. XXVI, .1963, p.150

[‡] مما تجدر الشارة ان العرب اطلقوا عليها اسم "علم المسالك والممالك" ينظر: كراتشكوفسكي، اغناطيوس بوليا فتش : تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة:صلاح الدين عثمان هاشم،(موسكو،١٩٥٧)،القاهرة–١٩٦٣، ١/٢٠.

[§] باقر : مقدمة في ادب، ص ٦٥.

[**] رو : المصدر السابق، ص ٣٧٦.

يمتطي العربة الملكية وبطش بمائة وعشرين اسد اخر وهو على الارض وشملت مجموعته حتى كركدن البحر "الذي كانوا يدعونه بحصان البحر والذي قتله في مياه البحر الابيض المتوسط قرب ارفاد[*]. فضلا عن ذلك فقد عمد سكان الحضارة الرافدينية على تصوير المعالم الجغرافية بمختلف انواعها وخير مثال على ذلك نراه في المشاهد المرسومة على مسلة النصر لنرام سين[†]. وما انجزه الاشوريون في هذا المجال فقد وصفوا مختلف الحوادث في كتاباتهم ولم يكتفوا بالوصف وانما عمدوا على تصويرها على منحوتات فكأنهم وثقوا وصفهم بنماذج منحوتة تتناول طبيعة المنطقة التي يتحدثون عنها فعلى سبيل المثال صور النحاتون زمن الملك سنحاريب(٧٠٤-٦٨١ ق.م) حملاته العسكرية التي قادها ضد المتمردين على جدران قصره وان الناظر الى هذه المنحوتات يرى انها عبرت تعبيرا دقيقا ومفصلا عن احداث وطبيعة اجواء المعركة وكأنما نقلت نقلا حيا ويترتب على ذلك الاعتقاد بان الفنان الاشوري كان يصاحب هذه الحملات ويعمل مسكيجات(ترسيمات) وعندما يعود الى نقشها على الواح الحجر التي عدت لذلك[‡]. ومعارك الملك اشور بانيبال(٦٦٨-٦٢٧ ق.م) في منطقة الاهوار لم تكتفي بتقديم الوصف الدقيق للمنطقة وانما صورت ايضا المنطقة تصويرا دقيقا ومما تجدر الاشارة ان الاشوريين كانوا من اكثر سكان وادي الرافدين اهتماما بتصوير طبيعة المنطقة التي تجري فيها معاركهم وخير شاهد على ذلك المنحوتات الحجرية التي تزين قصورهم[§]. فضلا عن ذلك فقد ترك لنا سكان الحضارة الرافدينية اوصافا طبوغرافية فعلى حد قول الباحث وايزمان الذي يعد بابل واشور العاصمتان الوحيدتان في الشرق الادنى اللتان تركتا مثل تلك الاوصاف فبالنسبة

---

[*] رو : المصدر السابق، ص ٣٧٦. ؛ ARAB : Vol2, p. 306

[†] الراوي : المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٨٢.

[‡] حبيب، طالب منعم : سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤-٦٨١ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص ٢١٩.

[§] رشيد، المصدر السابق، ص ٣٧٩-٣٨٠.

لبابل عمد الكتبة الى الاستنساخ تلك النصوص التي تتعلق بوصف مدينة بابل منذ زمن اشور بانيبال وحتى العصر الهلنستي، ومثل كل النصوص الاكاديمية الرئيسة يبدأ الوصف باسماء المدينة التي نؤكد انها مركز رفاهية ومركز ديني وعقائدي ويشير وصفها بانها مركز سامي(رباط السماء) الى ان المدينة كانت تهتم منذ زمن مبكر بالمعارف المقتصرة على فئة قليلة، ثم يتبع ذلك الاوصاف العامة لبابل مثل المدينة الذهبية والمدينة المقدسة او المدينة الجميلة تنتهي بـ(ريكيس مائاتي) حزام الاراضي ان للمصطلح معاني تنجيمية يرتبط بالقسم التالي من طبوغرافية حول(العمق) تيامات كموطن بيل لذا فان النظرة التقليدية الى بابل كانت دائما باعتبارها مركز المعرفة بالمعنى الرئيس للمصطلح كمعرفة الهة محددة ومثل اشور كانت النميكي مدينة الحكمة، ويرد في طبوغرافية بابل اسماء المعابد والمراقد واهم قاطنيها ومعلومات معمارية عنها، ويتبع وصف اشور اسم المدينة بقائمة للالهة قبل ان يقدم المعلومات المعمارية عن اشور كما هو الحال عليه بالنسبة لبابل[*].

اما فيما يخص الجغرافية الحضارية فخلف لنا العراقيون مدونات كثيرة تخص بعض الصناعات وخاصة صناعة النسيج والزجاج وسبك المعادن وصياغتها[†] اما في مجال هندسة الري فمعروف ان من بين ابرز خصائص البيئة في العراق تعرضها للفيضان السنوي الكبير لنهري دجلة والفرات وعلى الرغم من التفاوت النسبي في وقت فيضان النهري مما يترتب عليه تقليل خطورة الفيضان ويتيح الفرصة امام الناس لتفادي خطر الفيضان ولكن قد يصادف ان يقع موعد فيضان النهرين في وقت مقارب او متصل وعندها يقع ما يطلق عليه العراقيون القدماء "الطوفان"[‡] ونتيجة لذلك عمد سكان وادي الرافدين الى اقامة السدود والقنوات

---

[*] وايزمان، "بابل واشور مركزتن علميان قديمان"، سومر، م٤١، بغداد – ١٩٨٥، ص ٩٨.

[†] للاستزادة في المعلومات عن نظام الري في العراق القديم، ينظر : الهاشمي، رضا جواد : "تاريخ الري في العراق القديم"، سومر، م٣٩، بغداد – ١٩٨٣، ص ٦٢–٧٨ ؛ رشيد، فوزي : "نظام الارواء في العراق القديم، افاق عربية، ع١، بغداد – ١٩٨٥، ص ٩٢.

[‡] الراوي : المصدر نفسه، ص ٢٩١، رشيد : المصدر نفسه، ص ٩٢ ؛

وخير مثال على ذلك مشاريع ارواء اربيل ونينوى وكركوك التي قام بها الملك الاشوري سنحاريب حيث تعد كم بين الادلة على صدق الاشوريين في تقديم المعلومات الجغرافية. فالمعلومات التي ذكرها الملك عن الجبال والعيون التي كانت تزود نهر باستورة – بالمياه ذلك النهر الذي جلب منه المياه العذبة الى مدينة اربيل كانت معلومات دقيقة وليس فيها شيء من الخطأ او المبالغة وادناه سنورد النص الخاص بالمشروع المذكور :

"انا سنحاريب، ملك العالم، ملك بلاد اشور، حفرت ثلاثة انهار في جبال خاني وهي جبال في اعالي مدينة اربيل واضفت اليها مياه لعيون التي في اليمين واليسار ومن جوانب تلك الانهار ثم حفرت قناة تمتد الى اواسط مدينة اربيل موطن السيدة العظمة، الالهة عشتار وجعلت مجراها مستقيما"[*]. ولتوضيح ما جاء في كتابة الملك سنحاريب نشير الى انه في اعالي سهل اربيل توجد جبال سفين وصلاح الدين وبتةباوي ومن هذه الجبال ينبع فعلا مياه نهر باستورة وهذه الجبال

Saggs, H.W., Every Daily Life in Babylonia and Assyride, London-1965, pp. 49-50.

وللمزيد من التفاصيل ينظر : حبيب : المصدر نفسه، ص ١٥٤ وما بعدها. ومما تجدر اليه الاشارة ان النصوص المسمارية تذكر لنا الكثير من اسماء الانهار والقنوات ولكن من الصعوبة معرفة اماكنها. فقد وردت قوائم باسمائها من مكتبة اشور بانيبال وذكرت لنا احجار لحدود الحوليات والملكية والرسائل على اختلاف ووثائق المعاملات على انواعها الكثير من اسماء القنوات والانهار ومن هذه على سبيل المثال صرنود(العالي بالاكدية) الذي قد يكون نفسه نهر الارخوس بالمصادر الكلاسيكية ونهر عيسى عند البلدين العرب. ثم ترتاد الذي احتفظ باسمه تقريبا في الثراثار الحالي وقناة ابكالِ Abagal في منطقة كيش، وقناة ايدينا Edena قرب ابيسبال Apisal التي تاخذ الماء من دجلة وكالكوكا Galgula واي انشة وامار سوينا عند منتصف الطريق بين او ماابيسال وغيرها، ينظر : الاحمد : تاريخ العراق القديم : ١٥٧/١.

[*] سوسة:زيادة وقرنة وهي الانهر الثلاثة المنوه عنها في كتابة سنحاريب اما العيون اضاف مياهها الى تلك الانهار(فهي كثيرة العدد، فيها عين تقع الى القرب من قرية خوران واخرى بالقرب من هانان والثالثة جوار قرية دنجيز اوه.

كما يبدو من كتابة الملك سنحاريب كانت يجري عدد من النهيرات متجهة الى وادي نهر باستورة حيث تتجمع فيه بالقرب من القرى. زيادة وقرنة وهي الانهر الثلاثة المنوه عنها في كتابة سنحاريب اما العيون اضاف مياهها ال تلك الانهار(فهي كثيرة العدد، فيها عين تقع الى القرب من قرية خوران واخرى بالقرب من هانان والثالثة جوار قرية دنجيز اوه.

اما في مجال الجغرافية الادارية، فقد فرقوا بين التقسيمات الادارية، فاستخدموا تسمية بلاد مات matu[*]، واقليم واقرب تأصيل لهذه الكلمة من الكلمة اليونانية "كليما"(Klima) "كليما توس" ومنها في اللغات الاوربية Climate, clime ولكن الاصل يرجع بدوره الى التراث اللغوي في حضارة وادي الرافدين من الكلمة السومرية "كلام Kaam" والتي تعني الاقليم والقطر والبلد[†]، حيث استخدم السومريين مقطع "كلام" للدلالة عن فكرة الموطن وكذلك للدلالة على فكرة الموطن وكذلك للدلالة على لاد سومر نفسها، اما المقطع "اوكو" فقد كان يرادف عندهم معنى الشعوب عموما وبالجدير بالذكر ان للسومريون مفدرة اخرى ترمز للبلد وهي "كور" وتعني الجبل واستخدمت ايضا للاشارة الى البلدان الاجنبية[‡]. ومما تجدر الاشارة ان المصطلح السومري "كلام" اتخذ لقبا سياسيا من قبل لوكال زاكيزي Logalzagisi منتصف الالف الثالث قبل الميلاد قبل الميلاد حيث لقب نفسه "ملك الاقليم" وفي السومرية لوكال كلا ما LugaL Kalam وتعني ملك بلاد سومر واكد[§]، ثم اخذت الالقاب تتطور تماشيا مع تعاظم نفوذ الدولة فهذا سرجون الاكدي اول من استخدم لقب الجهات الاربعة بالسومرية LugaL An- Ub- Da- Limmu-Ba وفي الاكدية Shar Kibrate Arba^{-im} أي ملك العالم وهو في

---

[*] سليمان، عامر :اللغة الاكدية(البالية–الاشورية)،موصل – ١٩٩١، ص ١٣٥.

[†] باقر، طه : من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥١–٥٢.

[‡] رو : المصدر نفسه، ص ١٥٢.

[§] باقر : المصدر السابق، ص ٥٢.

الاصل لقب ديني خصص لكبار الالهة[*]. واضاف اليه نرام سين(٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م) الى اسمه ايضا لقب "ملك الجهات الاربعة" شاركبرات اربعيم واردفه بلقب(ملك الكون"(رشاكشاتي)[†] وهذا الملك شمشي ادد الأول اتخذ لنفسه لقب ملك العالم فضلا عن لقب ملك بلاد اشور ولقب توكلتي – ننورتا الاول(١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) نفسه ملك اقاليم العالم الاربعة واتخذ بعض الملوك الاشوريين لقب حاكم الحكام واامير الامراء وملك الملوك[‡].

اما بالنسبة الى المدن فالقاعدة التي يتم بموجبها اختيار مواقع المدن في جميع الادوار التاريخية تقريبا ان تكون على مجرى ماء رئيسي او بالقرب منه، حيث تكرار ظاهرة هجران مراكز العمران عند تحول اتجاه هذه المجاري ونتج عن هذه الظاهرة انتشار الاطلال الاثرية في مناطق جرداء من جراء تبدل مجاري الانهار القديمة حيث تشاهد تلك التلول على ضفاف الانهار المندرسة فقد استخدم المصطلح السومري "اورو" Uru الاكدي "الو" alu حيث كان يطلق على المستوطن من حجم المدينة والتي تشغل عدد من البيوت المشيدة من اللبن المجفف ويشتمل في بعض الاحيان على اكواخ مجتمعة مع بعضها تؤلف وحدة ادارية يبد انه لا توجد مصطلحات خاصة للتمييز بين المدن الكبيرة وبين المدن الصغيرة، اما المستوطنات الريفية من قبيل القرى الفلاحية فكانت لها تمسيات خاصة بها مثل المصطلح السومري "أي – اورو–شي E-URU-SHE" و "أي –دورو E-DURU"[§] وفي الاكدية Kapru وقد اطلقت على القرية الزراعية[**]. وقد استخدم الجدار المسيج لكنه لم يكن من الشروط الضرورية وهكذا نجد ان كلمة URU مشابهة الى كلمة PoLis اليونانية التي لم تمن مسيجة بجدار الضرورة.

---

[*] باقر: مقدمة، ص١٠-١١وينظر ايضا:الزيباري:المصدر السابق، ص ٣١.

[†] رو : المصدر السابق، ص ٢١٤.

[‡] الزيباري : المصدر السابق، ص ٣٢.

[§] اوينهايم، ليو : بلاد ما بين النتهرين(شيكاغو، ١٩٦٦)، ترجمة : سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد – ١٩٨١، ص ١٣٩.

[**] باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص ١٣٥.

فضلا عن ذلك فقد استعملت تعابير مختلفة لانواع متعددة من المستوطنات الصغيرة وذلك في عهود ومناطق مختلفة واصبحت القرى والمجمعات القبلية متميزة باسمائها الموصوفة خصوصا في العهد البابلي القديم مثلا تعبير "بيت ين" كان يعني عزبة واشتمل الريف على مواقع مهجورة تابعة الى مدن وانها تحولت الى تلال مرتفعة فيما بعد تعود الى العصور القديمة[*] فضلا عن استخدام "خضارو" و "حضارو" أي الحضر او الحضيرة[†]، اما النجم فقد استعملوه ليعني الحد الذي ما بين بلدين وردت في الاكدية بهيئة تخومو[‡].

ولعل من المفيد ان تشير هنا الى ان هناك العديد من التسميات الخاصة بالانهار والمدن والمواقع والاقطار المستخدمة في الوقت الحاضر، مما تعود اصولها الى العصور القديمة ومنها :

الفرات : Euphrates

تسمية قديمة ترقى ال عصور ما قبل التاريخ[§]، وردت في النصوص المسمارية بالصيغة السومرية "برانن" Buranun و "بوروننا Burununna وترادفها الصيغة الاكدية "التي تعني النهر الكبير "بورائم" Puratum و "بوارتو" Purata[**]، التي غدت تلفظ باللغة الغربية "فرات" حيث ان الباء الخفيفة(P) في الاكدية يقابلها صوت الفاء العربية حسب القواعد الصوتية المعروفة[††]، وقبل في معناه انه يعني الفرع او الرافد او الماء العذب ويضاهي ذلك المعنى الذي اورده

---

[*] اوينهليم : المصدر السابق، ص ١٤٢.

[†] باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

[‡] باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص ٦٥.

[§] سليمان، عامر : "تأصيل اسماء انهار العراق الرئيسة، بحث غير منشور، وزارة الري – ١٩٩٤، ص١، ينظر ايضا : بابان، جمال : "اصول اسماء العراق وانهاره الرئيسية"، افاق عربية، ع١١، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٠٢.

[**] سليمان : المصدر السابق، ص ٢–٣ وينظر ايضا باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٤١ والاحمد: المصدر السابق، ص ١٥٥–١٥٦.

[††] باقر : من تراثنا اللغوي : المصدر السابق، ص ١٦٤.

اللغويين العرب اليونانيين باسم افراتس ومنها انتقل الى اللغات الاوربية معرف بهذه التسمية[*] وورد في العهد القديم بصيغة فرات تكوين(٢ : ١٤) وسماه الفرس القدامى افراتو والتي تعني المنشات.

دجلة : Tigris

جاء اسم هذا النهر في النصوص المسمارية بهيئة "ادكنا Idigna والتي انتقلت الى اللغة الاكدية على هيئة "دقلتDIQLAT حيث اضيفت تاء التانيث الى الاسم وربما كانت تعني المحيط واشير الى الاسم في العهد القديم باسم حدافل او هدافل والعربية بدجلة وقد فسر معنى الاسم في المعاجم المسمارية بانه "النهر الجاري" او "السريع"[†] وسماه الفرس القدامى(تيكران) والتي ربما معناه السهم السرعة سيره والتي منها اخذت التسمية الغربية تايكراس Tigris .

الباليخ والخابور.

من روافد نهر الفرات اللذان يصبان في الجانب الايسر(الجانب الشرقي)[‡]. وتسمية النهرين تسمية قديمة وردت في النصوص المسمارية بشكل مقارب جدا

---

[*] سليمان : المصدر السابق، ص ٤ وينظر ايضا بابان : المصدر السابق، ص ١٠١. مما تجدر الاشارة ان العراقيون القدماء عمدوا الى تقديس وتعظيم الرافدين وعدوهما من حملة الالهة المشتقة من القوى الطبيعية وافراد الفرات بتقديس اكثر لانه كان النهر الذي تركزت على ضفافاه المستوطنات القديمة ونعت النهرين في التراتيل الدينية بالنهرين الاخوين أي الرافدين وفي اساطير الخليقة ذكر الفارت ودجلة بانهما ينبعان من عين "تيامة" وهي الالهة التي كانت تمثل عنصر الماء المالح أي البحر ومن قبيل ذلك على الفرات ودجلة من الانهار الاربعة التي تتبع من الجنة(سفر التكوين ٢ : ١٠-١٤) وفي ترتيلة دينية طريفة يخاطب الفرات بانه خلق الاشياء وان الالهة لما حضرته عممت الخيرات على ضفافه وشيد في اعماقه الاله(ايا) معبده وان مياهه تبرئ المرضى وتطهر الاردن وهو القاضي الحكم بين الناس يذكرنا بالعرف القانوني الوارد في شريعة حمورابي في رمي المتهم بالسحر بالنهر لاظهار برائته المادة الثانية ينظر : باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص٤٠-٤١، ط١، ١٩٧٣.

[†] باقر، من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص١٦٢.

[‡] سليمان : المصدر السابق، ص ٤.

للتسمية الحالية حيث ذكر نهر الباليخ بصيغة Balihu او باليخو Balihu في حين ذكر الخابور بصيغة خبورو Hubura او خابورو Haburu ولا سبيل لمعرفة ما تعنيه لغويا طالما ان التسميتين تعودان الى لغة السكان الاوائل الذين عاشوا قبل ان تبتدع الكتابة وربما كان الاسم له علاقة بمعنى الفعل الاكدي خبار Haru الذي ربما كان يرتبط بمعنى "حفر" او "عبر"، مما له علاقة بالنهر(*) ومن هنا جاء اسم قبائل الخبيرو، ومن المعروف ان اسم الخابور يطلق على احد روافد نهر دجلة الذي يلتقي بدجلة بالقرب من الحدود العراقية التركية وقدورد في المصادر الكلاسيكية على هيئة خابو او ابوراس(†).

الزاب الاعلى والزاب الاسفل والزاب الصغير والزاب الكبير :

وقد حافظ الزابان على اسميهما القديمين الواردين في النصوص المسمارية(‡)، حيث وردت بصيغة اكدية على هيئة زاب – عيلو ZaLuElu وزاب شيل ZaLu sapLu فاما الاسم زاب(§)، فلا يعرف معناها حيث انها تعود الى التراث اللغوي القديم الذي يرجع بتاريخه الى لغة ما قبل الكتابة وقد ار في تعليل معنى كلمة الزاب في اللغة الاكدية انه يضاهي الكلة العربية "الصاب" أي النهر الذي يصب او الرافد(**) العظيم.

---

(77) The Chicago Assyrian Dictionary, Vol.,6 , P. 8

(†) باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٤٥.

(‡) باقر : من تراثنا اللغوي : المصدر السابق، ص ١٦٨.

(§) يقول ياقوت الحموي في معنى الزاب لغويا زاب الشيء اذا جرى وقال سلمه يزوب اذا نسل هربا والذي يعتمد عليه ان زاب ملك من قدماء الملوك حضر عدة انهار في العراق وسميت باسمه وربما قبل لكل واحد زابي والتثنية زابيان وان المعنى الاول الذي يكره ياقوت تؤيده المصادر المسمارية ثم ان اسم المصدر زاب اقدم من زمن اول رقيم وجد اسم الزاب منقوشا عليه أي اقدم من ١٢٥٠ ق.م فقد جاء بالاكدية بمعنى الجريان السريع وفي السومارية(زب) بمعنى الجريان ينظر : بابان : المصدر السابق، ص١٠١-١٠٢.

.Ibid. Vol, 4,p.114

(**) سليمان:المصدر السابق، ص ٤ وينظر ايضا : باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، بابان، المصدر السابق، ص ١٠٢، باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

ورد ذكره في المصادر المسمارية باسم "رداتو RADAtu والذي يتصل بدجلة الى الجنوب من بلد الحالية وعرفه الاراميون باسم رادان والعرب راذان ومنه الراذنان الاعلى والاسفل. وفي المصادر الكلاسيكية باسم فسكوس.

ديالى :

ورد ذكره في المصادر المسمارية باسم "ترناه" TurNATU كما اشير اليه باسم دورول DURUL وفي زمن العرب المسلمين عرف باسم تامرا في حين كان اسم ديالى يطلق على جدول يتفرع من الجانب الغربي من النهر ثم استخدم اسم الفرع ليدل على النهر الرئيس،وبعد ذلك يبدا نهر دجلة في دخول الاهوار عند موقع الكوت الحالية وحيث ياخذ نهر اديكنا(الغراف حاليا) الماء منه، وبعد ان يخرج دجلة من الاهوار يسير في مجرى واحد وهو نهر الخارر والذي كان يعد الحد الفاصل بين بابل وعيلام ثم يصب مستقلا في خليج البصرة وكان نهر الكارون(اولاي ULia)،(اولايوس ULaios) الذي يصب فرعه الكرخة(اوكنو) بصورة منفصلة عن خليج البصرة،، ص ١٥٥. فضلا عن تسمية عدد من الانهار الصغيرة كالخوصر اما تسميات المشرح والكحلاء والمجر الكبير وشط الحلة وشط الشامية فهي تسميات حديثة نسبا وقد اشتقه معظمها من اسماء مدن ومواقع قريبة لا زالت تسمى بهذه الاسماء وهي عربية الاصل[*].

اما بالنسبة لتسمية العراق وبعض المدن العراقية القديمة والاقطار فبالنسبة الى تسمية العراق فقد اختلف الباحثون في اصل هذه التسمية وقد قيلت اراء مختلفة يمكن حصرها في ثلاثة احتمالات الاول انه اسم عربي الاصل اما الثاني فانه معرب من اصل فارسي اما الثالث فانه يرجع الى التراث اللغوي العراقي القديم وانه مشتق من الكلمة التي تعني المستوطن وهي الكلمة السومرية "اوروك" او "اونك" UR UK. UNUG التي سميت بالمدينة السومرية الشهيرة "اوروك"(الوركاء) والتي تدخل في تركيبة اسماء بعض المدن مثل اور ولارسا على ان نقطة الضعف

---

[*] سليمان : المصدر السابق، ص ٥-٦، وينظر ايضا : باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٥٥.

في هذ الراي ان هذا المصطلح يطلقه سكان العراق القدماء على القطر كله بل على مدينة الوركاء وغيرها[*]. وقد ارتأى الباحث اوالمستيد اول استعمال الكلمة عراق قد ذكرت في العصر الكيشي منتصف الالف الثاني قبل الميلاد وثيقة تاريخية يرجع زمنها الى حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد وجاء فيها اسم اقليم على هيئة "ايريقا" الذي صار على ما يرى الباحث الاصل العربي لكلمة العراق[†].

اما بالنسبة لتسمية بغداد حيث جاءت بهيئة "بكدادو" و "بكداد" ويكتبان بالمقاطع المسمارية "باك –دا–دو" و "باك–دادا" مسبوقة بالعلامة الدالة على المدن والحروف اللاتينية ALU-Bag-Da-Da-/D4 ويمكن ان يلفظ المقع الاول بهيئة "باغ" واقدم وثيقة بابلية ورد فيها اسم هذه المدينة يرجع الى زمن الملك حمورابي(١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م)[‡]. اما الموصل فلا يعرف بالضبط متى تأسست ولعلها الموضع الذي ذكره زينفون قائد الحملة اليونانية[§] اثناء العودة بعد فشل الحملة باسم "مسبلا" الذي يرجح تعليل هذا الاسم بانه من الكلمة الاشورية "مشبالو" التي تعني الارض السفلى او الواطئة[**]. اما نينوى فقد وردت في الكتابات القديمة المسمارية بالطريقة الرمزية بهيئة "ننوا" Ninua او نينا Nina[††]. اما اربيل – اربل فاقدم ما وصل الينا عن ذكر اربيل بالاشارات الواردة في سجلات ملوك سلالة اور – الثالثة(٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م) حيث ذكرت اسم اور – بيلم(URBILUM)

---

[*] سليمان، المصدر السابق، الاحمد : المصدر السابق، ١٣٧/١. وينظر ايضا باقر، طه : "ملاحظات في جغرافية العراق"، مجلة الاقلام، ع١٠، بغداد –١٩٧٧، ص ١٤–١٦.

[†] باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص١٧١، وينظر ايضا : باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص٧ وما بعدها ؛ Olmstead,A.T.,History of Assyria, U.S.A, 1975,p.60

[‡] باقر : المصدر السابق، ص ١٧٤

[§] عن الوصف الجغرافي لهذه الحملة ينظر :

[**] باقر : المصدر السابق، ص١٧١ ؛ باقر، طه بالاشتراك سفر، فؤاد : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة.

[††] باقر :المصدر السابق، ص١٧٢،الرحلة الرابعة، بغداد – ١٩٨٦٦، ص١٧

اما النصوص الاشورية فان الصيغة المالوفة هي "اربائيلو(Araba-Iu) وهو اسم يعني "اربعة الهة" او الالهة الاربعة"[*]. اما بابل فقد وردت في النصوص المسمارية بهيئة "باب –ايلي" او الادماج "بابيلم" ومعناه باب الاله" او "بابا الالهة"[†]. فضلا عن تسميات المدن الاخرى مثل كركوك وسامراء وتكريت وعانة وهيت[‡].

اما فيما يتعلق بتسميات التي اطلقت على الاقطار المجاورة فعلى سبيل المثال بلاد عيلام حيث اطلق السومريين على اقليم عيلام اسم "نم" NIM الذي يعني "الارض المرتفعة" او "النجد" وسماه الاكديون باسم "ايلامتو" عيلامتو"[§]. اما بالنسبة لتسمية سوريا : كان هناك مقاطعة بابلية تعرف باسم سوري(Su-ri) في اللغة السومرية تقع الى الغرب من الفرات الاعلى ثم عم هذا الاسم على مبدأ تسمية الكل ببعض منه وهناك من يعتقد انها تحريف للفظة اشور – اشور[**].وسمي اهلها سريان فيما بعد عندما تنصرت القبائل الارامية فتخلت عن

---

[*] باقر : من تراثنا اللغوي، ص ١٥٧–١٥٨.

[†] باقر : المصدر السابق، ص ١٦٠ مما تجدر الاشارة ان التسمية السومرية لبابل "كادينكيرر" الذي يوزاي الاسم الاكدي بابليم ثم الاسم بابيلا المشتقة من لغة الفراتين الاوائل ثم هناك تسمية اخرى وهي التهجئة تبننيركي TIN.TIR.KI(القليل الاستعمال) ومعناه غابة الحياة وهو يحمل فكرة تختلف عن فكرة بابل الاله ينظر : كيناسته بروكان" "اسم مدينة بابل" وسومر و ٣٥٢٩ او ١٩٧٩، ص ٢٤٣–٢٤٥. اما التعليل الوارد في التوراة في الحديث عن برج بابل الشهير واسطورة بليلة الالف وان الناس شيده للصعود الى السماء فبلبل الله السنتهم فلا يعول عليها حيث ان التفسير الحقيقي هو انه اسم عراقي ورد في النصوص المسمارية ينظر : الاحمد، المصدر السابق، ٤١/٢ وايضا الجبوري، علي ياسين.

[‡] باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص ١٦٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٦، ١٧٨، "التوراة، مصدرا للتاريخ الاشوري غير منشور.

[§] باقر، طه: تاريخ ايران القديم بالاشتراك مع الهاشمي، رضا جواد وستير فوزي، بغداد – ٩٨٠، ص ٢٥.

[**] جدير بالذكر هنا ان المستشرق نولدكة ذكر ان اسم سوريا مشتق من اسم بلاد اشور ثم انتقلت الدلالة الجغرافية لتشمل المنطقة المتاخمة لها غربا عن مختلف الاراء حول اشتقاق

اسمها القديم(آرم) الذي يذكرها بوثنيتها[*]؛ وقد جاءت هذه التسمية في كتابات المؤرخ هيرودتس(٤٨٤-٤٢٠ ق.م) في مؤلفه التاريخ : الكتاب الاول، ١٠٥) ثم شاعت التسمية لدى غيره من الكتاب الاغريق قبل ان تعم في الكتابات اللاتينية[†]. اما تسمية مصر فقد تم العثور على لوح مسماري مسجل عليه بالاكدية(مو- وص- ري) و "مي- يص- ري" ومعنى كليهما مصر ويجمع الباحثون ان ذلك اللوح يعود الى الملك الاشوري اسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ ق.م) كذلك تم العثور على ادلة تشير الى اقليم مصر منها الاثار العائدة الى تيجلاتبليزر الثالث(٧٤٥-٧٢٧ ق.م) كما ان سرجون الثاني(٧٢١-٧٠٥ ق.م) ترك اثارا تسجل استلامه اتاوة من(في- ير-ع و مو- صو- ري) أي فرعون مصر[‡].

مما تجدر الاشارة ان سكان الحضارة الرافدينية اطلقوا اسماء معينة على كل مظهر من المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية بحيث فرقوا بين واحد واخر وقد ورد في النصوص المسمارية العديد من التسميات التي تشير الى ذلك ومنها التسميات التالية :

جبل : السومرية Kur وبالاكدية شدو(م)Sadu(m).وفي الملاحم السومرية استخدمت مصطلح كور Kur ليعني كل من "الجبل" او "البلاد الاجنبية" او "بلاد الاعداء" والتي كانت تعني سكان الجبال في ايران والبدو في الغرب والشمال الغربي وفي الواقع على كل من كان خارج بلاد بابل.

الاسم، ينظر : فاروق، اسماعيل : "حول اسم سوريا"، دراسة تاريخية، ع٤٩-٥٠، دمشق - ١٩٩٤، ص ١١٩-١٢٣،

.Tredtnes, J,A.,"The Origin of The Name Syria", JNES, Vol.40, No2

[*] فريحة، انيس : دراسات في التاريخ، بيروت - ١٩٨٠، ص ٩٩-٢٢٣.

[†] محفل، محمد :"متى كان لسوريا والعراق ميزة خاصة"، دراسات تاريخية، ع ٤٩ -٥٠، دمشق -١٩٩٤، ص١٢٥.

[‡] مني، زياد، جغرافية التوراة، ط١، بيروت -١٩٩٤، ص٥٧.

تل – ظل : وردت في اللغة الاكدية بصيغة "تلو"[*]، ويجري ترديد جمل من قبيل حولت المدينة الى تلو وكومة من الانقاض بانتظام في المخطوطات الملكية والاشورية[†].

نهر : وردت بصيغة نار naru[‡] وهو اسم مؤنث يمعنى نهر او قنال او شريان[§]. ومما تجدر اليه الاشارى ان سكان وادي الرافدين عمدوا الى استخدام عدد من المعلومات الدالة التي توضع قبل الاسماء واحيانا بعدها لتحديد صنف او ماهية الاسم الذي تعود اليه والمعنى المقصود ومن هنا في هذا المجال العلامات التي توضع قبل اسماء المدن والاقطار والجبال والانهار وهي كالاتي :

الملاحظات	المعنى	اللفظ	العلامة
علامة تسبق اسماء المدن	مدينة	ال	Ilu
علامة تسبق اسماء الاقطار والبلدان	بلاد	مات	Matu
علامة تسبق اسماء الجبال	جبل	شدو	Sadu
علامة تسبق اسماء الانهار	نهر	نار	maru
وهناك بعض العلامات التي توضع بعد الاسماء مثل العلامات التي توضع بعد اسماء المدن والاماكن	مدينة	ك	ki

ومما لاشك فيه ان سكان وادي الرافدين قد وضعوا العوامل الجغرافية بنظر الاعتبار عند اختيارهم المدن العواصم[**]، فعلى سبيل المثال كان اختيار

---

[*] ادزار، اتو : عصر فجر السلالات" في الشرق الادنى الحضارات المبكرة،(لندن، ١٩٦٧)، ترجمة: عامر سليمان، الموصل – ١٩٨٦، ص ٧٦، وينظر : دو : المصدر السابق، ص١٥٢، باقر : من تراثنا اللغوي، المصدر السابق، ص٦٦.

[†] اوينهام : المصدر السابق، ص١٣٩.

[‡] سليمان : اللغة الاكدية، المصدر السابق، ص ١٣١.

(100) CAD,II/I, p.368

(101)

[**] سليمان، المصدر السابق، ص ١٢٩–١٣١.

الامورريين لبابل عاصمة لمملكتهم موقفا لانها تقع وسط العراق تقريبا ووسط المناطق التي يرتكز بها العمران(بلاد سومر واكد) فضلا عن حماية العوراض الطبيعية لها من جميع جهاتها حيث يحميها نهر الفرات من الغرب وفروعه من القنوات والانهر من الشمال والشرق. كما تحميها الاهوار من الجنوب الى جانب الموقع التجاري المتميز ذلك ان هنالك مسالك عدة في حوض الفرات الاوسط ترتادها القوافل التجارية بين العراق وشرق البحر المتوسط ويقترب نهر دجلة كثيرا في شمال بابل من الفرات الار الذي يسهل المواصلات بين الجهتين في وقت يمكن استخدام القنوات والانهر المتفرعة من الفرات باتجاه دجلة للدفاع عن المدينة وقت الاخطار والنقل في الايام الاعتيادية اضافة الى سير القوافل على طول ضفاف الانهار وهناك بعض المسالك التي تتجه الى بابل داخل الصحراء السومرية وجزيرة العرب[*].

اما قي مجال جغرافية الاجناس، فقد ميزت النصوص المسمارية بين الاقوام الاجنبية المختلفة بل ووضعت تلك الاقوام عند الاشارة اليها فوضعت الكوتيين[†] بانهم شعب لا يتحمل النظام" و"افعى لاذعة من الجبال" و "اعداء الالهة" وكان يعبر عن العيلاميين والسوباريين بـ "رجال تخريب" في المرئيات السومرية وهناك بعض الاقوال الماثورة منها "العيلامي لا يرضيه بيت واحد ليسكن فيه" أي ان العيلامي هلة ما يفترض لم يكتف ببيت واحد اذا كان هذا النفسير صحيحا من الواضح ان السومريين كانوا ينظرون الى العيلاميين على انهم شعب طماع وطموح الى درجة غير طبيعية ومنها ايضا "العيلامي مريض: اسنانه تصطك فاذا كان

---

[*] الاحمد : تاريخ العراق القديم : المصدر السابق، ٣٣٥/١.

[†] كريمر : السومريون، المصدر السابق، ص٤٠٩، مما تجدر الاشارة ان الكوتيين كانوا يقطنون جبال زاكروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع ايران ولا يعلم على وجه التاكيد هل كانوا من الاقوام الهنداوربية لانهم لم يتركوا وثائق مدونة بلغتهم فلا يعرف عنهم شيئا سوى اسماء ملوكهم ولقد استمد ذكر الكوتيين في ماثر حضارة وادي الرافدين المدونة الى العهود المتاخرة حيث ذكر احفادهم باسم "توتو" في وسائل ماري في الالف الثاني وكثرة الاشارات اليهم في اخبار الحملات الاشورية، ينظر : باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص٣٧٣.

المعنى ان العيلامي لا يستطيع تحمل الالم – يبدو واضحا بان السومريين كانوا يعتقدون بان العيلاميين كانوا "اطفالا كثيري البكاء ولا رجولة عندهم"[*]. اما بالنسبة الى الامورين الذين كانوا يعرفون بـ "مارتو" Mart.tu في السومرية وامورو Amurru في الاكدية[†] وهو اسم كان يطلق اصلا على البلد الواقع الى الغرب من السومريين أي غرب الفرات واطلق على السكان القادمين من الغرب ايضا[‡] وقد وصف الامورين بانه "لا يسكن بيتا ويسكن في الخيم ولا يدفن مونه"، "شعب مخرب متسم بالعنف ... وشعب لا يعرف القمح" وتصفهم قصيدة سومرية بانهم متوحشون يعيشون على القتال ويبحثون عن الكماء في الصحراء ويتناولون اللحم غير المطبوخ" وتصفهم اسطورة سومرية بانهم "يحومون حول اسوار اوروك مثل اسراب الطيور[§] واطلق على الجزريين الذين استقروا شمال العراق اسم اشوريين نسبة الى مدينة اشور حيث وردت بصيغة قديمة على هيئة "آ–اوسار"(A-usar) التي يبدو كانها كتابة سومرية رمزية، اما الصيغة المالوفة فكانت(A-shur) ز اما الصيغة الاكدية فكانت "كاسر"(Ga-sur) وغلب في الادوار الاشورية الحديثة ان يضعف حرف الشين فيقال "اشور"(Ash-shur) واستخدم اسم سوريا بين ايضا للدلالة على الاشوريين من قبل اعداء الاشوريين، أي نسبة الى القوم الذين استوطنوا الجزء الشمالي من العراق في العصور التي سبقت مجيء الاشوريين الى المنطقة، وكانت تلك التسمية تقلل من قيمة الاشوريين حيث استخدمت من قبل اعداء الاشوريين حيث تعني(العبيد) ربما لان بلاد سوريا كانت افضل الاقاليم التي

---

[*] كريمر، المصدر السابق، ص٤١٢–٤١٣.

[†] الاستزادة ينظر: الاعظمي، محمد طه عمر: حمورابي ١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م، بغداد – ٩٠، ص١٥–١٦.

[‡] من المعروف ان اساليب التنظيم القبلي بين الجماعات البدوية القاطنة غرب الفرات حيث بعض الاصلاحات منها قوم gagum التي تشير الى القبلية او العشيرة وتاتي gayum، gawum، gaum بمعنى شعب في نهر ماري، ينظر : الاحمد، سامي العمر : العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ج١، ص٢٤٢.

[§] اوتس : المصدر السابق، ص٨٤–٩٣ . Godd. VAH,p. 627

تزود المنطقة بالعبيد[*]. كما وردت اسم الحوريين الذين كانوا يعيشون على جبل حوروم في منطقة واقعة حول بحيرة وان وفي الادب السومري هنالك كلمة تلفظ ب، "حوروم Hurum وتعني "جلف" او "احمق" ولا يعرف فيما اذا كان المعنى له علاقة باسم الحوريين[†].

اما بالنسبة الى الكيشيين الذين كانوا يسكنون في مكان ما من الاجزاء الوسطى في جبال "زاجروس" في المنطقة التي تعرف باسم للراي لورستان في الجهات الجنوبية من ايران وكان يجاورهم من جهة الشمال اقوام جبلية اخرى منهم الكوتيين واللولوبو، وردت صيغة تسميتهم في النصوص المسمارية على هيئة "كاشو" ولا يعلم اصل اشتقاقها بالضبط ولعلها تعني القوة والباس ويحتمل ان تكون ماخوذة من اسم الاله القومي للكيشيين، والمرجح ان يكونوا هم القبائل الجبلية الذين ورد ذكرهم في المصادر الكلاسيكية باسم "كوساي" Kossaioi[‡]. اما بالنسبة الى الاراميين فيظهر هذا الاسم في المدونات المسمارية فهناك اشارة الى مدينة تدعى "ارامي" والى اشخاص يحملون اسم "ارامو" في النصوص الاكدية ونصوص سلالة اور الثالثة وكذلك في مرونات المملكة البابلية القديمة وهناك تاريخين يعودان الى القرن ١٤ وربما ق.م يشير الى وجود نوع من العلائق بين الاراميين والاحلاميين او الاخلاميين ونجد ذلك في مدونات تجلاتبليزر الاول(١١١٥-

---

[*] باقر : مقدمة، المصدر السابق، ص ٤٧١-٤٧٣.

[†] كريمر : المصدر السابق، ص ٤١٣ وينظر ايضا : احمد، جمال رشيد : دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد، ١٩٨٤ . Gelb, I.J, Harrians and Subarians, 2nd Chicago- 1973

[‡] باقر : المصدر السابق، ص ٤٤٦-٤٤٧، وينظر ايضا رو :المصدر السابق، ص ٣٣٢ ؛ الاحمد، سامي سعيد : "فترة العصر الكشي"، سومر، بغداد – ١٩٨٣، ص١٣٤-١٥٦ ؛ والامين، محمود : "الكاشيون ١٥٣٠-١١٦٠ ق.م"، مجلة كلية الاداب، ع٦، بغداد – ١٩٦٣، ص٤ وما بعدها ومما تجدر الاشارة انه جاء في الحوليات الاشورية ورسائلهم الاخبار عن الشعوب الاخرى كالارمن وملوكهم عن الاشكوزيين(الكيشيين) والموحو والكيمريين والسميريين والاقوام الايرانية مثل الماذيين والفرس فضلا عن ذكر اقوام اخرى كالفنيقيين والعبريين والمصريين والحيثيين والفريحيين والليديين، ينظر : باقر : المصدر السابق، ص٥٣، الاحمد، سامي سعيد ك تاريخ الشرق الادنى القديم بالاشتراك مع الهاشمي رضا جواد، بغداد، ب.ت، ص.

١٠٧٧ ق.م) تشير لاول مرة الى احلامو – اراميين ثم تختفي منذ ذلك التاريخ اسم الاحلاميين من الحوليات الاشورية ليستبدل بالاراميين ليستبدل بالاراميين[*]، حيث كان الكلديون من ابرز القبائل التي استقرت في القسك الجنوبي من العراق منذ مطلع الالف الاول قبل الميلاد فالتسمية جاءت من قبيلة كلدو او كشدو[†].

اما بالنسبة الى العرب فان اقدم ذكرى لهم تعود الى العصر البابلي القديم يخبرنا بذلك نص بنائي خاص بالملك يخدن–ليم(١٨٢٥–١٨١٠ ق.م) في معبد الاله الاشمس شمشاش في ماري عن حملة قام بها الملك الى البحر المتوسط وفي اثناء عودته وصنع ثلاثة "ملوك" من الاموريين الرحال كمينا له من ضمنهم قبائل العرب Urabu)[‡]. وقد ورد ذكرهم في زمن الملك الاشوري شيلمنصر الثالث حيث ذكر في كتاباته التذكارية التي تسجل انتصاراته العسكرية في السنة السادسة من حكمه فبعد انتصاره على حلب وحماة توجه الى القرقار على نهر العاصي حيث كانت قوات دمشق وحماة وارواد ومدن سورية اخرى متجمعة في هذا المكان وكان من بين القوى المتحالفة مع ملك دمشق ضد الاشوريين... اراكب جمل من العرب بزعامة "جندبو" العربي وبلغ مجموع ملوك التحالف العسكري ١٢ ملكا[§].

اما بالنسبة الى معرفتهم الجغرافية الفلكية فقد كانت ضرورية جدا لتحديد الاعياد والاحتفالات والمناسبات الدينية[**]، والاهتمام بالجغرافية الفلكية يتطلب معرفة جيدة

---

[*] لاستزادة عن الاراميين ينظر : دوبونت : "الاراميون"، ترجمة : البيرابونا، ج١، سومر، ١٩٦٣، ص٩٦–١٥٤.

[†] سليمان: العراق في التاريخ القديم، المصدر السابق، ٢٤٦/١ وايضا رو: المصدر السابق، ص ٣٦٩.

[‡] الخازن،نسيب وهيبة:من الساميين الى العرب،بيروت–١٩٧٩،ص١٥١ ؛
The Encycloped ia of Islam, Vol.1 , London -1960, p.524. وينظر ايضا :Pritchard, J.,ANET, 3rd.New-Jersey, 1969,p. 278-79.

[§] الهاشمي، رضا جواد : "العرب في ضوء المصادر المسمارية"، مجلة كلية الاداب، ع٢٢، بغداد–١٩٨٧، ص٦٤٠ وما بعدها وايضا القيسي، وهير احمد : "اقدم ذكر للعرب في مدونات ما بين النهرين"، بين النهرين، ع١٦، موصل–١٩٧٦، ص٣١١ وما بعدها.

[**] عن الاعياد والمناسبات الدينية، ينظر : النعيمي، راجحة خضير عباس، الاعياد والمناسبات في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير، بغداد–١٩٧٦، ص١٩–٥٥.

بالفلك والرياضيات[*]. فمجهودات سكان الحضارة الرافدينية العلمية ساعدت على ازدهار هذا العلم وتقدمه في الادوار التالية بنفسهم للدائرة الى درجات حيث اعتمدوا على طريقة حسابية تستند الى النظام الستيني وان اختراع هذه الطريقة كان السبيل الفاصل للتوصل الى التقسيم الحالي الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية. وتؤكد النصوص المكتشفة ان للعراقيين القدماء كانت لديهم اهتماماتهم في رصد الاجرام لغرض تقسيم الزمن كما تقدم ذكرهو لاجل تعيين الاحداث وفق تسلسها الزمني ولضبط الفصول والمواسم الزراعية منذ العصر السومري ثم بدء تدوين ملاحظاتهم وارصاداتهم منذ مطلع الالف الثاني ق.م فانتقلوا من طور المعارف العملية الى طور البحث العلمي المنظم ويتضح ذلك من خلال القوائم والوثائق التي وصلت الينا حيث بين ال انهم توصلوا الى معرفة حركة الشمس والقمر الشهرية ومواعيد الكسوف والخسوف وغير ذلك ولمعالجة الفرق بين السنة القمرية والشمسية ولمطابقة التقويم مع المواسم الزراعية فقد توصلوا الى كبس سبعة شهور كل تسعة عشرة سنة فتوصلوا الى معادلة ان ٢٣٥ شهر قمري تساوي ١٩ سنة شمسية فاضافوا سبعة شهور كبسية خلال تلك الدورة[†]. حيث يذكر وايزمان عن تلك الارصادات الفلكية ما نصه : "يوجد منذ عهد نبوخذنصر الثاني وحتى اواخر العهد الهلنستي اكثر من الف مفكرة وكل من هذه النصوص يشمل مدة نصف سنة مع قسم مكرس لشهر واحد مع سجل بيوم للارصاد الفلكية وبضمنها بيانات تتعلق بالانواء وقد وجدوا موقع القمر بالنسبة للنجوم الاعتيادية والمواقع القمرية المستعملة بشكل منفصل في نصوص السنة الهدف التي تسجل التنبؤ بالظواهر الكوكبية والقمرية لعام معين وفي التقاويم المكرسة بصفة خاصة لتسجيل مواقع الكواكب والخسوف والكسوف وفي التقاويم الفلكية التي تتضمن المواقع اليومية للشمس والقمر والكواكب ونجوم معينة. الخ(Ephemer ides) التي يمكن ايجاد مكان أي جسم سماوي لاية فترة من الزمن وبالتالي التنبؤ بظهور القمر الجديد وامكانية رؤيته لاخر مرة وكسوفه كلن لتلك النصوص تاثير عميق على علم الفلك الاغريقي ومن خلال النصوص العربية فيما بعد على الجداول الفلكية الغربية والملاحية الحديثة بالاضافة الى هذه المعلومات فقد اضافت المفكرات اليومية اسعار السلع الاساسية والشعير والتمر والصوف وزيت السمسم

---

[*] كراتشكوفسكي : المصدر السابق، ص ٢٠.

[†] سوسة : المصدر السابق، ص٧ وما بعدها.

وعلامات دائرة البروج وارتفاع نهر الفرات واحداث سياسية ومدنية والتي ربما كانت مختصرات من سجلات اكمل كانت محفوظة في بابل وكانت تشكل قاعدة التقاويم البابلية الموضوعة الموثوقة وكانت شكلا مهما من التدوين التاريخي على العالم القديم[*].

Abstract

Some Old Geographic Concepts in Mesopotamia

Dr. Ibtihāl A. Al-Tā'i [*]

Geogrphy was among the sciences that appeared in the Mesopotamia. Investigating the cuneiform texts , one can collect a huge material about Geography. It is worth mentioning that the Iraqi scribes haven't write any sperate reference in any discipline, but rather the material were scattered here and there.

The present study aims at introducing the origin of Geography as a science known in Mesopotamia. The study also sheds light on the types of geography which were known at the time.

[*] وايزمان : المصدر السابق، ص٩٩-١٠٠، للاستزادة في المعلومات حول معرفة البابليين بالفلك ينظر :

Neugebauer,O.,The Exact Science in Antiquit, 2.nd.ed, New-york, 1957, .pp.97-138

روثن، ماغريت: علوم البابليين(ب.ت) ترجمة يوسف حبي، بغداد – ١٩٨٠، ص؛ باقر، طه: موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية، بغداد– ١٩٨٠، ص٨٦-٩٢.

[*] Lec.-Dept. of History- College of Arts/University of Mosul.